

رسالة

# حول التوسل

(واعتصموا بمجبل الله جميعا ولا تفرقوا)

مقالة: تبين حكم التوسل والاستغاثة، وتثبت حياة الأنبياء  
وكرامة الأولياء، وتزيح ظلمة أوهام النجديين بضياء البراهين  
الساطعة مع سلوك الأدب في البحث

بقلم

المربي الجليل

الشيخ حسن حبنكة الميداني (رحمه الله تعالى)

## مقدمة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي:

هما صورتان ناطقتان، يأتي الكتيب الذي ستقرؤه من بعد، ترجمة دقيقة لهما

أما الصورة الأولى، فبوسعك أن تراها مستخلصةً من واقع يعود إلى ما قبل وفاة الشيخ حسن حبنكة رحمه الله، بسنتين تقريباً، إنها صورته مضطجعاً على سرير مُدَّ له في غرفته التي كان يستقبل فيها تلامذته وضيوفه (البراني) وقد أصيب باحتشاء قلبي، وأحيط بتعليمات طبية صارمة.

دخلت عليه بصحبة الشيخ خير العلي رحمه الله، ذي الصوت الشجي، نعوذه. وما إن استقر بنا المجلس، حتى نظر شيخنا الجليل رحمه الله إلى الشيخ خير، يتلطف إليه أن يسمعه شيئاً.. وقد كان شيخنا طوال معرفتي له ملثاع الفؤاد بلواعج الحب الإلهي، وبمشاعر الشوق إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وقد قضى نجه وفارق الدنيا دون أن تُخَفَّ عنه تلك اللواعج، أو تندمل في قلبه تلك القروح!.. أنشد الشيخ خير أبياتاً مطلعها

متى يشتهي القلب المقرح يا سعد  
ويسكن هذا الشوق والتوق والوجد

فتملكت شيخنا رحمه الله حالة من الوجد، أسلمته إلى بكاء شديد، وعذاب من الشجو كان واضحاً أنه لم يشعر منه إلا بالعدوية والأنس وتنفس الصعداء.

أشفق عليه من ذلك أخوة محمد خير حبنكة رحمه الله، وأشار إلى الشيخ المنشد أن ينتهي إنشاده. لم يَخَفَ ذلك على الشيخ الذي كان يتلوى على فراشه باكياً كالملدوغ، فنظر إلى الشيخ خير قائلاً تابع .. تابع .. هذا دوائي. لا تلتفت إلى أحد.

الصورة الثانية أرسمها لك من خلال كلمات

زرته وحدي قبل وفاته بأقلّ من شهر. كان نشيطاً، وكانت تتجلى عليه سمات العافية. أفاض في الحديث عن آلامه من حال الناس والدنيا، وعن آماله في لقاء الله بعد طول اشتياق، وعرج على الحديث عن اشتياقه لرسول الله، وعن عزمه على أن يشدّ الرحل لزيارته عما قريب.

وإنه لكذلك، إذ ضمني إليه وعانقني، وأهوى إليّ بقبلاّت لم أعهد لها منه من قبل، وقد نالت منه البرحاء واهتاجت به الحال ..

لم أره بعدها، ولم أره بعدها إلا مسجّي على النعش تعلو وجهه إشراقة لا أكذب عينيّ رؤيتها والتشبع بها.

والآن، لك أن تقرّ ترجمة هاتين الصورتين بياناً علمياً في الكتاب الذي أمامك. فإن شئت استجبت في تأويل ذلك لرعوناتك وتعصباتك المذهبية، وإن شئت استجبت لما ينتظره رسول الله ويأمله منك.

محمد سعيد رمضان البوطي



## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ملهم الصواب، والصلاة والسلام على من منح فصل الخطاب، وآله وأصحابه ذوي الأدب في السؤال والجواب - أما بعد - فإن العقائد الزائغة...! إذا كمنت في النفوس، فإنما تودي بأصحابها على هامهم في سقر...! ولا يتسرب ضيرها إلى العموم فإذا أشيعت على صفحات الجرائد المعتمدة وحصل الإقرار عليها ممن يعول عليه، انتشرت جراثيمها في جسد العالم الإسلامي فمزقته كل ممزق.

فهي إذا أرهف شفرة تقطع أيدي القلوب المعتصمة بحبل الله المتين، هي أكبر عوامل التفريق بين المسلمين، هي نار تأجج في أصل الوثائم والألف، يجب على محب الإتحاد أن يشمر عن ساعد همته لإطفائها بحكمة.

لا يحتاج إلى برهان<sup>1</sup> أن الحمل على المسلمين، وتكفيرهم قاطبة، سلفاً، وخلفاً أمر لا تكاد تقبله الطباع، ولا تحمله النفوس الزكية.

ناولني بعض التلاميذ العدد 330 الصادر في 23 ذي الحجة سنة 1349 من صحيفة أم القرى بعد تاريخه بمدة في مجلس عام، فإذا فيه شن الغارة على إيمان المسلمين عموماً.. فعندها وقفت متحيراً. قائلاً فيم نحن اليوم من هذه الأبحاث الفارغة، وتلك التشويشات الهائلة..!

قمت منفِعلاً فإذا زمرة من التجار يطلبون مني أن أرد على تلك المقالة رداً كافياً، فَوُفِّقْتُ لعجالة في الموضوع تمر على أبحاث أم القرى فتجعلها حصيداً كأن لم تغن بالأمس.

وبعد أن جاءت العجالة على نمط المقالة، حُجِّبَ إلي أن أجعلها رسالة توزع بين الناس لتعم الفائدة فسارعت لطبعها كما هي محبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقدم شكري الزائد لمن يرى عيباً فيهديني إليه، والله الموفق للصواب.

م. حسن مرزوق ميداني

<sup>1</sup> لعل الصواب: إنَّه لا يحتاج إلى برهان

## ﴿ حول التوسل ﴾

### (واعتصموا بمجبل الله جميعاً ولا تفرقوا)

إن مما تنتعش له قلوب أهل الإيمان، وتشرب إليه أعناق الموحدين، ويتهج به الكون طرباً، وتحاربه الملائكة عجباً، يبهت لحلوله الذي كفر، ويحزّ الجبابرة من هيبتة صماً وعمياناً، إقامة حدود الرب تعالى بين المسلمين، وإظهار الشعائر الدينية، وتمكين العقائد الإيمانية، في أفئدة الرجال والنساء، وإملاء صحائف الأطفال البيضاء بمحاسن الشريعة الغراء، قبل أن تسودها بنان الزائغين بقبائح الكفر والطغيان...

لا غرور أن هذا وأمثاله لا يسود نظامه إلا بمسيطر مخلص حازم، ذي قوة فعالة، ومدد عام، يكبح النفوس العصية، التي ترغب عدم التكليف، وتأمّر بالفحشاء.. وترتاح لإتباع الأهواء. أجل.. ولا تثبت دعائم الملك لذلك المسيطر حتى يأخذ بطرف من الرجوع إلى العلماء الراسخين في مهمات الأمور، ويعمل ويحمل الناس على العمل بإجماعهم فيما يتعلق بالدين الطاهر المتين، إذ هم عماد الملك وحفظه الأمن العام.

وها هي صفحات التاريخ تؤيد ذلك وتجليه ولا ينبئك مثل خبير. تواترت الأخبار، أن الحدود الشرعية والمظاهر الدينية والأمن المنتشر، قائمة اليوم على ساقها في مصدر الدعوة الإسلامية، ومعدن الأخلاق النبوية السامية. بلد الله الحرام. البلد الذي بزغت منه شمس الإيمان، فأليه تهوي أفئدة المؤمنين وتتلج لمشاهديه صدور الموحدين، هو المجتمع الوحيد لطوائف المسلمين في كل عام.

نعم.. هو ملجأ المسلم عند انتشار الفجور في الأرض، وعدم الأمن على المال والدين والعرض، يقول عز شأنه: **(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً)**. ويقول: **(وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمناً)**.

بيد أنه أشيع عن طائفة هنالك: ايقاع<sup>2</sup> المسلمين قاطبة في الشرك وعدم التوحيد لأسباب لا إخالها تستوجب ذلك، بل ولها أصل ثابت في الدين يخضع لبرهانها العقل الصحيح لمن شاء منهم أن يستقيم. كنت وكان البعض نظن كذب تلك الإشاعة أو إنها عقيدة الجاهل البسيط من تلك الطائفة، فكنا نترصد ريثما نقف على حقيقة الأمر حتى إذا جاء الخبر اليقين على صحيفة أم القرى الصادرة في 32

<sup>2</sup> لعل الأوضح: ايقاعهم

ذي الحجة سنة 1349 العدد 330 مترجماً لما أكتنه ضمائر تلك الطائفة وتوغرت به صدورهم على كل مسلم، مصرحاً بتكفير كل من توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من المقربين، معلناً انقطاع إحساس الأنبياء كغيرهم وانقضاء أعمالهم بالموت إلى غير ذلك مما هو محتويّاً على مغالطات بذكر آيات قرآنية وشبه أدلة واهية صريحة البطلان.

وقد تعلم تلك الطائفة أن الله تعالى منذ أخذت رؤوس دعائم تقوم بالإفساد، قيّض العلماء المنصفين لقمع تلك البدعة المدمرة، فكشفوا عن محيّا الحق اللثام حتى انقضت نوبة البحث في ذلك وأسفر الصبح لذي عينين، ولا داعي لإعادة البحث إلا تشويش أذهان العامة الغافلين.

جدير بنا اليوم ونحن في مسيس الحاجة إلى التعاضد و المحبة والاعتصام بجبل الله جميعاً، لتدارك ما بقي من ذمائم وروح الإيمان أن لا نختلف في مثل تلك الأبحاث المفروغ منها.

ما لنا ولهذا؟ أولى لنا ثم أولى أن نتكاتف لإخراج نفوسنا من الأسر (ونحن في قبضة الأعداء) ولتمكين دعائم أصل الإيمان في صدور الكثير من الشبان والشابات، والبنين والبنات، الذين أشرفوا (واحزنناه) على السقوط في أحوال الكفر الصريح وإنكار الشريعة من أصلها، لولا أن مقالة أم القرى جعلت في قلوب الجم الغفير من المسلمين حرازة وعداوة لتلك الطائفة؛ الطائفة التي طالما كنا نأمل العز والفتح المبين لها، ونرجوا الخير للمسلمين بها.

لذلك ولإزالة الشقاق بين المسلمين، أرخيت عنان اليراع لنقض تلك المقالة نقضاً إقناعياً بحسن أدب ليكون ادعى للألف وأقرب للنصيحة ولم أتعرض لعباراتها خشية السامة وفراراً إلى ما هو الأهم من بيان الحق وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت والله ولي التوفيق.

سرحت النظر في مهمّ تلك المقالة فألفيتها صيحة في واد، ونقثة في رماد، وهي تدور حول أمور

ثلاثة:

1. عدم جواز الاستغاثة والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم.
  2. انقطاع أعمال الأنبياء بالموت.
  3. عدم جواز تصرف الأحياء مطلقاً بالأمر المعنوية كالمريض والضيق.
- وها أنا مستعينا بالله أبين الحق في ذلك موجزاً عسى أن تزول الشحناء وترتفع الغوغاء، وما أنا إلا موضح أو معيد، ولم أطرق السمع بمجديد.
- ولما كانت البراهين في ذلك كثيرة حجة لا أكاد أنتهي من بعض أطرافها حتى يظهر لي الطرف الأخر.

وللفكر في ذا مجال واسع، لا بدع أني اقتصرت منها على الواضح الذي يلمسه العلمي بيده ويدركه بلا تأمل وإليك ذلك.

## [ جواز الاستغاثة والتوسل ]

من البديهي الذي لا يخفى على ذي عقل، أن هذا العالم هو عالم الوسائط والأسباب وأن الله تعالى قد جعل لكل شيء سبباً.

ولولا ذلك لبغ الله (وهو القادر على كل شيء) أوامره لخلقه من غير واسطة رسول ولا سفير، ولأشبع البطون الخاوية وأرواها بدون واسطة طعام أو شراب، ولعفى عن المذنب الجاني يوم القيامة بدون شفاعة رسول أو عالم أو والد، إلى غير ذلك ما يعد البحث في إثباته من العبث، حيث اتضح ذلك. فالعبد المذنب الذي اجترح السيئات وفرط في جانب الحق تعالى يرى أن دعائه لا يستجاب، وأعماله لا تقبل وليس ذلك لبعد الله عنه (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) بل لخلل في أصل عمله، أو فقد شرط من شروط القبول، أو عدم تحرير الإخلاص فيه، وإن شئت فاذا ذكر قوله صلى الله عليه وسلم في الأشعث الأغبى: (يُمد يديه إلى السماء يقول: يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له).

فلو استغاث هذا بأحباب الله تعالى وتوسل بهم في قضاء حاجته مهما عظمت لأجابه تعالى إكراماً لأحبابه ونصرة لهم وهو الذي يقول: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) ويقول رسوله الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الإمام أحمد ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: (رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره).

ولا ريب عند عاقل أن من توسل بأحباب الله تعالى يعتقد اعتقاداً لا يعتريه شك، ولا يطرقه تبديل أنهم خلق من خلق الله، ليسوا أرباباً أو آلهة، ولا يقدر على شيء لأنفسهم أو غيرهم إلا بإذن الله القادر على كل شيء.

والمستغيث بهم لدفع ضررٍ مسّه، أو جلب خيرٍ أراده ولو عامياً أبله قائل: أنه لا فاعل إلا الله، وهو خالق كل شيء ويده ملكوت كل شيء وإليه يرجع الأمر كله.

فكأنه يقول إذ يستغيث: يا أحباب الله أنتم أقرب إلى الله وأعظم إيماناً مني، وأعرف بكيفية خطاب الرب تعالى، وقد أمد حواسكم بقدرته، ووعدكم بالإجابة السريعة، وتولى حرب من عاداكم

بنفسه, حيث تحققتم بالعبودية له, بمصداق قوله في الحديث القدسي الثابت في البخاري: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب, وما تقرب إلي عبدي بشيءٍ أحب إلي مما افترضته عليه, ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه, فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني لأعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه) فبقدرتكم التي وهبكم الله, ومنزلتكم عنده, أعينوني في حاجتي وتوجهوا إلى الله تعالى في قضائها.

قل لي إن كنت تتراد الحق, والله شهيد على قولك: هل يعد مثل هذا شركاً وعبادة لغير الله, كعبادة الأصنام وتسميتها آلهة؟

سبحانك اللهم هذا ضلال مبين ورجم بالغيب وتفريق بين المسلمين, أخرج إمامك وإمامنا أحمد ابن حنبل والترمذي والحاكم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد, ومن أراد بحبوبة الجنة فيلزم الجماعة).

هل أتاك حديث ذهاب الخلائق يوم القيامة إلى الأنبياء والمرسلين ليشفَعوا لهم عند الله تعالى وهم باعتقادهم الراسخ أن الأمر يومئذ لله. وقد كشف الغطاء إذ ذاك فلا حجاب بينهم وبين خالقهم تعالى إذ يقول: (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)؟.

فبما قرينة<sup>3</sup> ومنزلة لهم لا شك عند الله شفَعوا في الخلائق, أفترى أنهم نالوا تلك القرية بعد الموت؟ لا.. لأنك تعتقد انقطاع أعمالهم حينئذ, لا جرم أنك تقول إنما نالوا تلك القرية السامية والمنزلة الشامخة الرفيعة في دار الدنيا.

إذاً.. فما المجوز للاستشفاع بهم هناك؟ وما المانع منه هنا؟ تدبر وأجب منصفاً بروية. ثم إني لأطفك بمثل قريب: سقط إنسان في بئر عميقة فنادى بأعلى صوته, يا قوم يا مسلمين, يا لفلان للغريق لقد أشرفت نفسي على الهلاك.. خلصوني.. أنقذوني.. خذوا بيدي.

فما قولك بهذا وقد استغاث بغير الله والاستغاثة نوع من العبادة كما في صدر مقالتك الشاملة لهذا وإن تناقضت من بعد..

وأظنك تعتقد اعتقاد المسلمين إنه لا يخلصه من ذلك الضيق إلا الله الواحد القهار. ولأن التعصب المذهبي حملك على تكفير هذا أيضاً, فالمسلمون قاطبة وأنت وقومك واقعون في مثله.

إذن.. لا موحدٍ على وجه الأرض سابقاً ولا حقاً, في زعمك.. وأعظم بها من جريمة.

<sup>3</sup> هكذا في الأصل ولعل الصواب: فبأي قرينة..



ولربما تضيق ذرعاً في المحاكمات العقلية (وللمعقول فضاء واسع) فتقول: هات نصاً صريحاً من الشرع المطهر وفعل السلف الصالح بجواز التوسل والاستشفاع.

فإليك ما يحضرنى من ذلك:

قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا) وقال تعالى: (مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا) ولا يخفى وجه الاستدلال في الآيتين على أمثالك أيها النبيه.

وأخرج البخاري في التاريخ والترمذي وقال حسن صحيح. والنسائي وابن ماجه والبيهقي والحاكم وقال على شرط الشيخين وذكره الحافظ السيوطي في الجامع الكبير والصغير: (أن رجلاً ضريباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ادع الله أن يعافيني. فقال عليه الصلاة والسلام: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير لك. قال الرجل: ادعه. فأمره عليه الصلاة والسلام أن يتوضأ ويحسن وضوءه ثم يدعو الله بقوله: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى اللهم فشفعه في) فعاد الرجل وقد أبصر.

وقد استعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين والعلماء هذا الدعاء في قضاء حوائجهم بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا وكانوا يعلمونه أبناءهم وفيه استغاثة وتوسل به صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً.

أفكلهم مشركون بزعمك؟ مهلاً أيها الكاتب المتستر، لقد ظن قومك ظن السوء وأخطؤوا خطأً مبيهاً. وانتبدوا عن الحق في هذا مكاناً قصياً.

وروى ابن السني أن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خدرت رجله فقيل له: اذكر أحب الناس إليك يزل عنك، فصاح يا محمداه، فانتشرت (زال ما بها من الألم).

لا تغفل أيها الموفق عن هذه الاستغاثة الصادرة من ابن عمر رضي الله عنه (وَأَعْظَمُ بِسْمِ مَقَامِهِ فِي الْعِلْمِ).

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة وأقره الحافظ ابن حجر من رواية مسلم الملائي عن أنس قال: جاء رجل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أتيناك وما لنا بغير يئط ولا صبي يغط ثم أنشده شعراً يقول فيه:

وليس لنا إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فقال: اللهم اسقنا الغيث.. إلى آخر الحديث. وفيه ثم قال صلى الله عليه وسلم: (لو كان أبو طالب حياً لقرت عيناه من ينشدنا قوله).  
فقام علي فقال: يا رسول الله كأنك أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل  
تلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

فلتسمع أذنك الواعية كيف أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعرابي وأبا طالب على شعرهما (وهو أعرف الناس بمدخل الشرك) بل تمدح بشعر أبي طالب وأعجبه.  
ويأبى أصحابنا النجديون إلا أن يقيموا الطامة الكبرى على قول البوصيري رحمه الله تعالى:

يا أكرم الرسل مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

ويعتقدون أنه من أعظم أنواع الشرك.

ومن أجل ذلك وأمثاله يرون من التقرب إلى الله تعالى حرق البردة الشريفة ودلائل الخيرات، وكل قصيدة نبوية تغرس غصون محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في قلوب الرجال والنساء كما هو المشاهد.

ومن المقرر عند المتبصرين، أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم الصادقة، هي التي أخذت بضبعي الصحابة الكرام حتى استووا على عرش العز والمجد و... وحفهم النصر من كل جانب.

أما جسد العالم الإسلامي اليوم فهو ميت خاوي من هذه الروح الزكية، فلا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

وأخرج الزبير بن بكار من طريق داوود عن عطاء عن زيد بن أسلم عن عمر بن الخطاب والبلاذري من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه: استقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس بن عبد المطلب فذكر الحديث.. وفيه فخطب عمر الناس. فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده فاقتدوا أيها الناس في عمه العباس. واتخذوه وسيلة إلى الله تعالى. وفيه فما برحوا حتى سقاهم الله تعالى.

فهذا عمر بن الخطاب الذي نزل القرآن موافقاً لرأيه يأمر الصحابة الأجلاء باتخاذ الوسيلة إلى الله. وحاشا أن يأمر بالشرك.

وأخرج ابن ماجة والبيهقي عن أبي سعيد الخدري وذكره الحافظ السيوطي في الجامع الكبير وابن السني عن بلال قال: كان صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى الصلاة قال: (بسم الله آمنت بالله توكلت

على الله لا حول ولا قوة إلا بالله. اللهم، إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا إليك فإني، لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعةً، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء رضائك أسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت).

انظر رعاك الله .. هذا رسول صلى الله عليه وسلم يتوسل بالسائلين أحياء وأمواتاً وهو أفضل خلق الله وأغنى الخلق عن الخلق، فكيف لا نتوسل نحن بجاهه صلى الله عليه وسلم مع ضعفنا وكثرة ذنوبنا. وإني أسألك .. هل ما ثبت من المزية والقرب والفضل، لأجسام الأنبياء والأولياء أم لأرواحهم؟ لا شك أنه لأرواحهم الزكية المطهرة، والمتوسل إنما يتوسل بالروح وأنت معي في أن الروح باقية لا تفنى.

إذن لا فرق بين التوسل بالحي والميت وكلٌّ جائزٌ، بل قرينةٌ وعبادةٌ. وخذ نصاً صريحاً في ذلك زيادة على ما تقدم من النصوص.

أخرج الدارمي في مسنده المعروف صحته عن أبي الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت عائشة: انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، ففعلوا فمطروا مطراً حتى نبت العشب وسمت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق.

فليتبرأ ألو الإنصاف، هل جهلت الشرك عائشة التي ورد فيها (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء)؟ وهل جهله أيضاً عموم الصحابة حين فعلوا ما أشارت به عائشة؟ وعلمه أصحابنا النجديون...!!

وأخرج البيهقي وابن أبي شيبة بسند صحيح عن مالك الدار، وكان خازن عمر بن الخطاب قال: أصاب الناس قحط زمان ابن الخطاب فجاء رجل (هو بلال) إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا. فأتاه رسول الله عليه وسلم في المنام .. فقال: ائت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنهم مسقون. (الحديث)

فهذا بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطبه ويستغيث به بعد الموت، والصحابة من حوله ينظرون إليه، فهل هم بربك مشركون؟ ويح الجهل..! وقد جاء في نفس الحديث أن الله تعالى أغاثهم وسقاهم حتى رواء، فهل يعينهم الله تعالى على أن يشركوا به؟ (ولا يرضى لعباده الكفر).

وروى القاضي عياض في شفاؤه بسنده الصحيح أن أمير المؤمنين أبا جعفر قال للإمام مالك: يا أبا عبد الله.. أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ولم تصرف

وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله. قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)، فحدّث ولا حرج عن ورع الإمام مالك رحمه الله الذي كان يُسأل عن أربعين مسألة في العلم فلا يجيب إلا عن ثلاث، ثم نزهه عن أن يأمر بما فيه رائحة الشرك نسأل الله العافية.

وحدّث توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم تعددت طرقه بكثرة عند المحدثين والمفسرين وصححه الحاكم وأقره وهو: (لما اقترف آدم الخطيئة، قال: يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لي. فقال: يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟. قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعرفت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك. فقال الله تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ، إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك). فهذا آدم أبو البشر عليه السلام يتوسل بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يخلق، وهو أعظم من التوسل به بعد موته، إن كنتم تنصفون.

وروى الطبراني عن زيد بن عقبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أضلّ أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أعيوني فإن الله عباداً لا يراهم).

وحدّث توسله صلى الله عليه وسلم بنفسه وبالأنبياء من قبله في دعائه لفاطمة بنت أسد يوم ماتت. قال العلماء: إسناده جيد.

قل لي أيها الكاتب: أفبهذه الأحاديث أنتم مدهنون أم تجعلون رزقكم أنكم تكذبون..؟ ومن تصفح كتب الحديث والتاريخ بعين الإنصاف، وجد شواهد كثيرة لا يحصيها العد ولا يجمعها، مثل هذا المقال، فلا أدري أجهل كل هذا أم تجاهل؟ ولا علم لي أفبآيات الله وأحاديث رسول الله يلعبون..؟ استغفر الله.

لكني أقول: يجعلون أصابعهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم حذر أن يخالط أذهانهم برهان صادق يزعم لهم تلك العقيدة من أصلها، فويح التعصب البارد المفرق بين الشعوب.

## ( حياة الأنبياء وعدم انقطاع أعمالهم بالموت )

ليس في إمكانك - وأنت تعلم - أن تنكر حياة الأنبياء والشهداء بعد ثبوتها في نص القرآن العظيم وما تواتر من الأحاديث وتتابعت به الآثار. قال تعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَّا تَشْعُرُونَ). وقال: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) إلى غير ذلك من الآيات.

وأخرج البيهقي وأبو يعلى في مسنده وهو حديث صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون) إلى غير ذلك مما ستراه. وقال الحافظ السيوطي (وناهيك باطلاعه): حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علماً قطعياً لما قام عندنا من الأدلة في ذلك وتواترت به الأخبار. كأني بك وأنت تغالط في مفهوم ذلك فتجعل الحياة للأرواح فقط وتصرح بفساد الأجسام وذهاب إحساسها، ولا ريب أن الأرواح كلها كافرة أو مسلمة باقية في البرزخ لا تفنى وعليها يدور نعيم القبر وعذابه.

وإليك قول العلامة ابن القيم - وأنت تعتمده - في قوله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) إن أريد بذوقها الموت تألمها بمفارقة الجسد، فنعم هي الذائقة الموت بهذا المعنى، وإن أريد أنها تعدم وتفنى مع البدن فلا. بل هي باقية بالإجماع في نعيم أو عذاب، فلو كان المراد من حياتهم حياة الروح فقط لما كان هناك فائدة ولا مزية في تخصيص الشهداء والأنبياء في معرض المدح بالحياة دون غيرهم، ولجاز إطلاق الحياة على الكفرة بهذا الاعتبار ولم يرد ذلك في آية ولا حديث ولا أثر، وهو لعمر الله إبطالاً لمقصود القرآن الكريم وتعطيل لمفهوم الأحاديث!..

إذاً إثبات الحياة للشهداء وبعض الخواص مشعر بالبداهة أنها حياة حقيقة، أكمل وأعز وأسمى من الحياة السابقة، خلاف حياة عموم الناس البرزخية. وما المانع من ذلك والله على كل شي قدير.

ثم لا تنس قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق: (في قبورهم يصلون) وهل تكون الصلاة بالمعنى المتبادر للروح فقط، وأيضاً لا يخف أنك أن أحاديث المعراج بلغت حد التواتر فليس بالإمكان إنكارها وفيها عند مسلم في صحيحه من حديث عبد العزيز يقول عليه الصلاة والسلام: (رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب (خفيف اللحم) جعد كأنه من رجال شنوه (قبيلة من العرب) وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلي، أقرب الناس شبيهاً به عروة بن مسعود الثقفي. وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم (يعني نفسه) فحانت الصلاة فأمتهم) الحديث.

فهل في وسعك أن تجعل هذه الأوصاف للأنبياء وتلك الصلاة إماماً ومأموماً وذلك الخطاب بينهم للأرواح فقط؟ أخبرني إن كنت من المنصفين!

وأخرج إمام السنة أحمد بن حنبل وأبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي والبيهقي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه والطبراني وسعيد بن منصور وابن شيبه والحاكم وصححه: (أفضل أيامكم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثرُوا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي. قالوا: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت (بليت). فقال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) فهذا نص صريح بحياة أجساد الأنبياء.

وأخرج الدارمي ومعلوم صحة سنده عن سعيد بن عبد العزيز الذي قال فيه الإمام أحمد: ليس بالشام أصح حديثاً منه. قال: لما كان أيام الحرة لم يؤدّن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبرح سعيد بن المسيب المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهممة يسمعه من قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية لأبي نعيم عن سعيد بن المسيب: رأيتني ليالي الحرة وما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري وما يأتي وقت الصلاة إلا سمعت الأذان من القبر، وأخرج الزبير بن بكار عن سعيد نحو ذلك.

فهذا سعيد بن المسيب سيد التابعين لصفاء جوهره ونور بصيرته وحسن اقتدائه وصدق محبته سمع أذان النبي صلى الله عليه وسلم في قبره، فهل هذا الصوت الذي سمعه سعيد من الروح فقط؟، تأمل منصفاً.

ولعلك تقول ما بالنّا إذاً لا نراهم بيننا ونبصرهم بأعيننا؟ فإليك نقل مرجعك العلامة ابن القيم في كتاب الروح عن القرطبي وأقره ما ملخصه: حصل القطع بتواتر الأخبار أن موت الأنبياء راجع إلى أن غُيِّبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء، وذلك كالحال في الملائكة فإنهم أحياء ولا نراهم. بل متى تقشّعت عن سماء بصيرتك غمامة الذنوب برياح الذكر والاستغفار، وانطوت بشريرتك الكثيفة وزكت نفسك الأمانة بالسوء حتى رجعت راضية مرضية، وانتشرت روح المحبة في ذرات وجودك، وهدّمت هذه العقبة الصعبة بينك وبين الأنبياء بمعول الإنصاف والرجوع إلى الحق، برزت لناظرك شمس ذات الأنبياء، وانعكس شعاعها على مرآة قلبك، فهناك تجتمع روحك الزكية المباركة (وأنت في دار الدنيا) بالملائكة الكرام، وعندئذ تجهر بالحق قائلاً لشيعتك وقومك هذا السرور المقيم. هذه اللذة الدائمة هذه الحياة الطيبة.

لا جرم أنك تذهل إذ ذاك عن المال والولد والأهل الأوطان و...، ولئن كبر على نفسك التصديق بهذا. فانتصب لإقناعك قوله عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه البخاري ومسلم وأبو داوود: (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة فلا يتمثل الشيطان بي).

وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة كثير من علماء السنة المطهرة الذين تعتمدهم أنت في نقل الأحاديث وتصحيحها، ومنهم الإمام الحافظ السيوطي فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة نيفاً وسبعين مرة، أفنصمه بالكذب في هذا؟ وأراك تصدقه تارة أخرى في نقل الحديث وتصحيحه. إن هذا إلا تناقض وتلون..!

وبعد إثبات مرجعك ابن القيم أن حياة الأنبياء كحياة الملائكة، لا يصعب عليك أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم أُلوفٌ من الناس في جهات مختلفة في آن واحد، كما لا يصعب عليك أن تصدق بقبض عزرائيل عليه السلام أرواح من في المشرق والمغرب بلحظة واحدة.. هون عليك.. فالله على كل شيء قدير، أو كمثل الشمس في كبد السماء يراها كل ذي باصرة سليمة في سائر أنحاء الأرض ما لم يتعرض أمامها حجاب.

ولا يتخيل لي أنك تجهل من كتب السنة رؤية كثير من الصحابة ملائكة الله يقظة لا مناماً وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرهم على ذلك.

ألم تسمع هذا عن أبي بكر، وعائشة، وعبد الرحمن بن عوف، والعرباض بن سارية، وعبد الله بن رواحة، وحذيفة بن اليمان، ومحمد بن مسلمة، وحارثة، وأبي بن كعب، وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين.

ألم تر في صحيح البخاري ومسلم عن أسيد بن حضير قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة، إذ جالت الفرس فسكتُ فسكتت، ثم قرأ فجالت فرفع رأسه إلى السماء، فإذا هو بمثل الظلّة فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء، حتى ما يراها، فلما أصبح أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك. فقال: تلك الملائكة دنت لقراءتك ولو قرأت لأصبح الناس ينظرون إليها لا تتوارى منهم.

ألم تر في صحيح مسلم عن عمران بن حصين قال: إن الملائكة كانت تسلم عليّ فلما اكتويت انقطع عني فلما تركت عاد إلي.

ألم تر في سنن البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأنصار فلما دنا من منزله سمعه يتكلم في الداخل، فلما دخل لم ير أحداً، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: من كنت تكلم؟ قال: يا رسول الله دخل علي داخل ما رأيت رجلاً قط بعدك أكرم مجلساً ولا أحسن حديثاً منه. قال: ذاك جبريل وإن منكم لرجلاً لو أن أحدهم يقسم على الله لأبره، إلى غير ذلك ...

وقصارى الأمر أن ذلك من باب كرامة الأولياء وأنت لا تنكرها، وهل هي إلا أمر خارق للعادة بعيد عن المؤتلف؟ فابحث قبل الإنكار أيها النبيه ..!

أخبرني أيضاً: هل تعتقد أن ما ثبت من النشر والحشر والنعيم في الجنة والعذاب في النار للروح فقط؟.

لا غرو أنك تقول: إنما ذلك للجسم والروح معاً؛ لقوله تعالى: **(قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ {78} قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ).**

فالقادر جلت حكمته على إعادة الروح إلى الجسد بعد تشتت أجزائه ومضي آلاف السنين، ألا يقدر على إعادة أرواح الأنبياء والشهداء بعد الموت بقليل وحفظ أجسامهم وحجبهم عن أعين الناس إلا الخواص، أليسوا أكرم عليه من الملائكة؟ **(بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ {81} إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ).**

ألم يكن في بعض ما تقدم (وهو شذرة مما في السنة المطهرة) مقنع لذوي التبصر والأنصاف؟ أن حياة الأنبياء والشهداء حياة حقيقية وأن أعمالهم لم تقطع بل هي غذاء لهم يتنعمون به كعبادة الملائكة الكرام.

أزيدك على ذلك أن غير الأنبياء من خواص البشر كثيراً ما يصلون في قبورهم بعد الموت. ذكر الحجة السيوطي وأقره عن أبي نعيم في الحلية عن جبير. قال: (أما والله الذي لا إله إلا هو لقد أدخلت ثابتاً الباني في لحده ومعني حميد الطويل، فلما سويينا عليه اللين سقطت لبنة فإذا هو في قبره يصلي، وكان يقول في قبره: اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره فأعطينها فما كان الله ليرد دعاءه).

وأخرج الترمذي وحسنه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلس على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها. فأنى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هي المانعة هي المنجية. قال العلامة أبو قاسم السعدي في كتاب الإفصاح: هذا تصديق من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الميت يقرأ في قبره.



وأخرج ابن منده عن طلحة بن عبد الله قال: أردت مالي بالغابة فأدركني الليل، فأويت إلى قبر عبد الله بن حرام فسمعت قراءة القرآن في القبر ما سمعت أحسن منها، فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال: ذلك عبد الله، ألم تعلم أن الله تعالى قبض أرواح فجعلها في قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة، فإذا كان الليل ردت إليهم أرواحهم حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر ردت أرواحهم إلى مكانها الذي كانت فيه. إلى غير ذلك مما أفعم الكتب المعتمدة فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً؟!.. عفواً عفواً.

## ( جواز تصرف الأنبياء والأولياء بالأمور المعنوية كالمرض والضيق )

من المقرر الذي لا يفتقر إلى برهان. أن المخلوق من حيث هو ملكاً كان أو نبياً أو ولياً. مجرداً عن معونة الله تعالى، لا يقدر على شيء ما، (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) فإن أمد الله تعالى بقوة فعالة وأذن له في فعل شيء تصرف فيه تصرفاً غريباً بما منحه الله تعالى من الفكر الثاقب والسر العجيب. لا يرتاب مسلم في قدرة الملائكة على التصرف في كل شيء حتى في تخليق الجنين وتفصيل خلقه ونفخ الروح فيه. وإن منهم الموكل بتصريف السحاب وتسخير الرياح وقبض الأرواح إلى غير ذلك. كذلك نشاهد في المعادن والنباتات وأجزاء الحيوان من الخواص العجيبة في قلب حقائق الأشياء وتسكين الأمراض أو إزالتها، وفي البخار ومائع الأرض (كالغاز والبنزين) من رفع الأثقال وتسيير القناطر المقنطرة ما يبهر العقول وتحاربه الأفكار!

فالقادر على هبة الملائكة تلك القوة. ووضع هاتيك الخواص في الجماد والنبات والحيوان. أليس بقادر على أن يهب مثلها أو أعظم منها خاصة أحبابه. وخيرته من خلقه؟ (وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا)، كيف والآدمي مطلقاً مكرماً على الجماد وأمثاله؟ قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) الآية.

وها أن الله أثبت في محكم كتابه لسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام أفعالاً لا تليق إلا بالرب تعالى فقال: (أَبِي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ) فهذا نص صريح في جواز إطلاق الإحياء، والإبراء، والخلق، وانكشاف الغيب على البشر، قال تعالى فيمن أتى بعرض بلقيس وليس بنبي: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) فقد طوى الله الزمان والمكان لهذا الولي حتى أتى بعرض بلقيس بطرفة عين، وقال تعالى في مريم عليها السلام: (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا).

فحيث جاز مثل هذه الكرامات للأولياء من غير أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فما ظنك بأولياء خير أمةٍ أُخرجت للناس.

ولا معنى للمحاولة بأن ذلك بإذن الله، حيث إن كل مؤمن يعتقد أنه لا يكون شيء إلا بإذنه، حتى الجرعة يسيغها واللقمة يتلعبها، والثوب يلبسه، و... و إلى غير ذلك. فاتضح أن التفريق بين الأمور الحسية والأمور المعنوية لا طائل تحته سوى تشويش أذهان العامة، وشق عصا الألف فيما بينهم وقد ثبت لنبينا صلى الله عليه وسلم أحياء الموتى، وإبراء المرضى بما يتلاشى الشك عند ملاقاته.

أخرج البخاري ومسلم من طريق قتادة (عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قتلى بدر فجعل يناديهم: يا فلان بن فلان هل يسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً. قال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها. قال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندامة) وقد ثبت في حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع عظام الداجن<sup>4</sup> بعد الأكل في وسط جفنة فوضع يده عليه ثم تكلم بكلام، فإذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها. فقال لي: (خذ شاتك يا جابر) الحديث.

وأخرج البيهقي في الدلائل (أنه صلى الله عليه وسلم دعا رجلاً إلى الإسلام فقال: لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا فلانة. فقالت: لبيك وسعديك. فقال صلى الله عليه وسلم: أتجبين أن ترجعي. فقالت: لا والله يا رسول إني وجدت الله خيراً لي من أبوي ووجدت الآخرة خيراً لي من الدنيا).

وأخرج البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يده فلما أصبح قال: أين علي بن أبي طالب قالوا: يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه، فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأنه لم يكن به وجع).

وأخرج البخاري عن البراء رضي الله عنه أن عبد الله بن عتيك لما قتل أبا رافع ونزل من درجة بيته سقط إلى الأرض فانكسر ساقه، قال: فحدثت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ابسط رجلك فبسطتها فمسحها فكأنما لم أشكها قط.

<sup>4</sup> لعله: الشاة

وأخرج أحمد والطبراني عن الوازع قال: (قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم والأشج في ركب ومعنا رجل قصابٌ فقلت: يا رسول الله إن معي خالاً مصاباً فادع الله، قال: ائني به، فأتيت به، فأخذ طائفة من رداءه فرفعها حتى رأيت بياض إبطيه ثم ضرب ظهره وقال: أخرج عدو الله، فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الأول، ثم أقعده بين يديه فدعا له ومسح وجهه فلم يكن في الوفد أحدٌ بعد دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضل عليه).

هذا نذر من بحر خضم وليس في الإمكان استيفاء ما في السنة المطهرة من هذا الموضوع، فليتعلم الجاهل.

وإن تعجب فعجب أن تلك الطائفة ما كفرت المسلمين بشيء وجعلته شركاً عظيماً وأقامت عليه الطامة الكبرى إلا وتجد له أصلاً صريحاً ثابتاً في السنة المطهرة، وأفعال السلف الكرام مع موافقة المعقول الصحيح.

فلا أرى تلك الطائفة إلا أنهم يضعون بسبب ذلك أمامهم وخلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم عقبات تحول بينهم وبين الفتح المبين والنصر العميم. هنالك تتسرب عوامل اليأس منهم إلى قلوب الملايين من المسلمين وليس وراء ذلك إلا الفشل. فاللهم اهدهم سواء السبيل.

من ذلك إنكارهم التبرك والتمسح بآثار الأنبياء والصالحين مع ثبوته في الكتاب العزيز والسنة المطهرة (بنقل أئمتهم)، ولا ريب أن عوامل الحب والشوق المشتعل في قلب المتمسح هي الدافعة إلى ذلك.

قال تعالى عن سيدنا يوسف عليه السلام: (أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا)، ثم قال: (قَالَ أَبُوهُمْ إِنَِّّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ)، إلى أن قال: (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا).

قل لي ما السبب الذي دعا يوسف أن يأمر بإلقاء القميص على وجه أبيه سوى أن يتسلى به عنه حيث إنه أثر من آثاره؟ وما السبب في رجوع بصر يعقوب عند ذلك سوى شدة الحب والفرح بأثر المحبوب؟ وما الحكمة في ذكر الله تعالى ذلك في كتابه؟.

أمر على الديار ديار سلمى  
أقبل ذا الجدار وذا الجدار  
وما حب الديار شغفن قلبي  
ولكن حب من سكن الديارا

وأخرج إمامك وإمامنا أحمد بن حنبل في مسنده من حديث أبي صالح قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر. فقال: أتدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب، فقال: نعم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم آت الحجر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تبكوا على الذي إذ أوليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله)، قف هنا وتأمل قول أبي أيوب الصحابي الجليل إلى أمير المؤمنين حين إنكاره التبرك ثم استشهاده بالحديث تجد عجباً!

وأخرج مسلم في الصحيح وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت جبة طيالسية، وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى فنستشفى بها، فهذا تبرك من الصحابة بالأثر بعد الموت فلا تغفل.

وأخرج الإمام أحمد والبخاري في التاريخ وابن سعد وأبو يعلى والبغوي والحسن بن سفيان في مسنده والطبراني والبيهقي عن حنظلة بن خديم أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح رأسه بيده، وقال له: بورك فيك. قال الذيال: فرأيت حنظلة يأتى إليه بالشاة الورم ضرعها والبعير والإنسان به الورم فيتفل في يده ويسمح بصلعته، ويقول: بسم الله على أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيمسحه ثم يمسح موضع الورم.

وأخرج البخاري في الصحيح من حديث طويل عن عروة يقول فيه: (وأنه صلى الله عليه وسلم لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه، ولا بصق بصاقاً، ولا تنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها) الحديث.

وعند الحسن بن سفيان في مسنده وأبي يعلى والحاكم والدارقطني وأبي نعيم وأقره الشوكاني (وهو من أئمتكم) أن أم أيمن شربت بول النبي صلى الله عليه وسلم، فضحك وقال: إنك لن تشتكي بطنك بعد يومك هذا أبداً.

وعند البزار وأبي يعلى والطبراني والحاكم والبيهقي أن عبد الله بن الزبير شرب دم النبي صلى الله عليه وسلم، بعد الحجامة فكان الصحابة يرون القوة التي به من ذلك الدم.

وإنما حداني للاقتصار على ما سمعت من الأدلة الناصعة والأحاديث الثابتة ضيق المقام، وإلا فالسنة طافحة من هذا وأمثاله إن كنتم تبحثون، وما أشبه الحاج وهو بين يدي الحجر الأسعد يقبله ويلمسه وقد غشيتيه ثياب الذلة والخضوع لخالقه تعالى بعباد الوثن<sup>5</sup>، فلم لم تجعل هذا مشركاً وتسلبه حلة إيمانه؟.

<sup>5</sup> أي فيما يراه النجديون

كفى يا قوم ألم يكفكم عبرة قلة الواردين إلى بيت الله منذ وصمتم إيمانكم الطاهر بالشرك المظلم،  
وحجرتهم عليهم واسعاً!.

أم تريدون أيتها الطائفة أن ينقطع الوافدون إلى بيت الله بالكلية وبه يتداعى ركن من أركان  
الإسلام.

ألم يأن للمسلمين أن يلموا شعثهم، ويجمعوا كلمتهم؟.

الوفاق الوفاق فقد ضاق الخناق، واشتد الوثاق، وغضب الخلاق فلا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم  
أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واهدنا سواء السبيل.

محمد حسن مرزوق الميداني

